

ديمقراطيون في المعارضة وديكتاتوريون في الحكم

محمد خالد

الخليج

2007-7-23

“لو أن الماء ليس إلا مجرد ماء لكان من زمان مات من العطش”
(أدونيس)

أن تكون نصف ديمقراطي معناه أن تكون نصف ديكتاتور. الأفضل أن تكون ديمقراطياً كاملاً أو ديكتاتوراً كاملاً، فنصف الحقيقة هو أسوأ أنواع الكذب. وكما أن الماء هو الحياة: (الخضرة، الزرع، النظافة، البيئة، الكهرباء، النهر، الأشجار، الغابات، العصافير، البحر، اللؤلؤ..)، كذلك فإن الديمقراطية ليست التصويت فقط، بل هي الحرية والمساواة والانتخاب والتغيير وإشراف المواطن على الحكم. والمواطن الحر هو الرئيس والحاكم والملك والولي الفقيه وولي الأمر، إذ (لا وجود لوطن حر إلا بمواطنين أحرار).
الأطراف

الديكتاتوريات خمس:

ديكتاتورية الفرد ديكتاتورية الحزب ديكتاتورية الأقلية ديكتاتورية الطبقة ديكتاتورية البيروقراطية.

ديكتاتورية الفرد:

أخطر ما يخيف الديكتاتور اثنان: الكوليسترول والديمقراطية، الأول يسدُّ شرايين القلب، والثاني يسدُّ شرايين السلطة، وإذا ما خير بين هذين العدوين، فإنه يختار أفضلهما: الكوليسترول. القرن العشرون استضاف عدداً لا بأس به من هؤلاء، في إفريقيا كان الديكتاتور يتباهى بأكل كبد خصومه.

في البرتغال حكم سالازار 40 عاماً وكذلك فرنكو في إسبانيا.. وانتشرت تشنعة حول الأخير عندما دخل في غيبوبة لأسابيع عدة قبل موته، حيث كان كبار رجال الدين والرهبان يزورونه يومياً، وفي اليوم الأخير خرج الرهبان وهم يصيحون: “معجزة.. معجزة.. لقد مات”.

عريباً، يستطيع الفضوليون أن يبحثوا عن الكم والنوع ضمن الكلمات المتقاطعة، لا يغادر الديكتاتور كرسيه إلا بصحبة اثنين: ملك العسكر أو ملك الموت.
ديكتاتورية الحزب:

إنها الأحزاب التي تمارس الديمقراطية وهي في المعارضة وتصبح ديكتاتورية عندما تصل إلى السلطة، وتتنوع بين الحزب الشمولي والديني والقومي والفاشستي. بعض الأحزاب يأتي عن طريق الانتخابات الديمقراطية وبعضها عن طريق الانقلاب العسكري. ديكتاتورية الأقلية:

في لبنان 18 طائفة يؤكد الدستور توافقها جميعاً بحيث إن أية طائفة مهما كان عددها قليلاً فباستطاعتها إذا حررت أن تشل البلد، وهكذا فإن ديكتاتورية الأقلية تصبح ديكتاتورية أغلبية، لأن

لبنان الطوائف يسير حسب قانون الصحراء: (تسير القافلة سيّر أضعفها).
ديكتاتورية الطبقة:

كان ماركس أهم مفكر حلّل المجتمع ووضع نظرية محورية للانتقال من المجتمع الرأسمالي الى المجتمع الاشتراكي (من كل حسب قدرته، ولكل حسب إنتاجه)، ولاحقاً الانتقال الى المجتمع الشيوعي (من كل حسب قدرته، ولكل حسب حاجته)، وأساس التحليل أن المجتمع ينقسم الى طبقات وأن العلاقة بينها هي الصراع الذي سينتهي بانتصار طبقة البروليتاريا كطليعة ثورية تحقق ديكتاتورية البروليتاريا، وهو القائل: (الثورة قاطرة التاريخ) وكان أهم تطبيقين لهذه النظرية هما في روسيا (ثورة العمال) والصين (ثورة الفلاحين). وبعد 70 عاماً من قيام أول ثورة اشتراكية في التاريخ (الاتحاد السوفييتي) انهار النظام انهياراً مأساوياً.. وبقيت الصين حامية الاشتراكية العالمية.

ديكتاتورية البيروقراطية:

مبكراً حذر آباء الاشتراكية من خطر البيروقراطية على الثورة، أي انفصال الجهاز الحاكم عن طموحات طبقة البروليتاريا التي يمثلها وتكوينه لطبقة جديدة لها امتيازاتها وطموحاتها بحيث تستخدم جهاز الدولة لحماية مصالحها الجديدة. وقد كان تروتسكي أهم مفكر فقد التجربة الستالينية وانحرفها عن أهداف الاشتراكية.

وتجربة الانقلابات العسكرية التي قادها ضباط الطبقة الوسطى في كثير من دول العالم تحت شعارات وطنية تحولت الى بيروقراطية منعزلة لها مصالحها الخاصة المتناقضة مع مصالح الجماهير الواسعة.

وفي الحالتين فإن العنف والقهر هما الأسلوب الذي تلجأ إليه البيروقراطية لإسكات معارضيها وتصفيتهم وكبت الحريات العامة للسيطرة على الحكم.

الديكتاتور السري:

يبقى ذلك الديكتاتور الصغير المتخفي صانع كل الديكتاتوريات، الديكتاتور الذي هو نحن، ذلك الذي يعيش فينا وبيننا. ليس الديكتاتور هو الذي يقف على رأس الهرم وحده.. بل كل فرد يرأس مؤسسة صغيرة ويريد أن يظل فيها مدى الحياة: (ناد، جمعية، اتحاد، حزب، نقابة، منتدى، فرقة كرة قدم، مدير مصنع، رئيس مجلس إدارة، ورئيس عصابة).

والمفارقة أن هذا الديكتاتور الصغير ينادي بالديمقراطية صباح مساء وينتقد المسؤول الفرد على تمسكه بكرسي الحكم وينسى نفسه وموقعه الذي يمارس فيه نفس التسلط ضمن دائرته الصغيرة. كل واحد فينا هو ديكتاتور تحت التمريم ما لم نَسُدْ ثقافة الديمقراطية والإيمان بالتعدد وقبول الآخر والابتعاد عن مقولة (الجحيم هو الآخرون)، وأنا وبعدي الطوفان.

الديمقراطية هي نقيض الاستبداد واللامساواة، وحيث لا يوجد نظام متكامل إلا أن التطور الاجتماعي قد وصل الى أن الديمقراطية تنمو وتتقدم في المجتمع المدني. وغداً يوم آخر.